

الأبعاد القصصية في المقامة الشعبية الجزائرية الحديثة (المقامة العوالية
نموذجاً)

Narrative dimensions in the modern Algerian popular maqama
(the Awaliya maqama as an example)

عراب أحمد

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

البريد الإلكتروني: ah.arab@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/19 تاريخ القبول: 2025/02/26 تاريخ النشر: 2025/03/12

الملخص :

تفتح هذه الدراسة الموسومة "بالأبعاد القصصية في المقامة الشعبية الجزائرية الحديثة -المقامة العوالية نموذجاً- " نافذة على أخيلة القص وإشكالية الكتابة في الخطاب القصصي الجزائري الحديث، لمكاشفة ما تحمله من عمق رؤية للواقع، وما تشعّه في الأنظار من أسئلة ذات صلة بظروف وملابسات إبداع النص المقامي الحديث، ولاستعادة أشكاله وعلاماته وقيمه للاستفادة منها باعتبارها أنوية وعتبات أولى في التوثيق لطقس هذه الممارسة الأبداعية والتأصيل لأجناسها المتنوعة، وبالأخص ما ركب منها على مركزية السرد السير ذاتي (الأوتوبيوغرافي).

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم نصوص المقامات، بمنظور مغاير عن ذلك الذي اعتدناه، فالغاية من هذه المقاربة السردية إعادة الاعتبار للتراث النثري الجزائري ودراسة إمكاناته السردية والفنية، وبالأخص ما تعلق منه بسرد التجوال والسفر والاحتياال والكدية، باعتباره يتوافق مع الخبر والحكاية و السير الشعبية، والرحلة والمقامة.

الكلمات المفتاحية: المقامة، القص، التراث، الشعبي، الفنية، الأشكال.

Summary:

This study, entitled "Narrative Dimensions in the Modern Algerian Maqamat - the Awaliya Maqamat as an example -" opens a window on the fiction of storytelling and the problem of writing in the modern Algerian narrative discourse, to reveal the depth of vision it carries of reality, and the questions it raises in the eyes related to the conditions and circumstances of the creation of the Maqamat text. Hadith, and to restore its forms, signs, and values to benefit from them as the first nuclei and thresholds in documenting the ritual of this creative and rooting practice. for its various species, , especially those that are based on the centrality of autobiographical narration.

This research paper seeks to present the texts of Maqamat, with a perspective different from that which we are accustomed to. The aim of this narrative approach is to rehabilitate the Algerian prose heritage and study its narrative and artistic potential, especially what relates to the narration of wanderings, travel, fraud, and sacrifice, as it is compatible with the news, the story, the popular biographies, and the journey.

Keywords: Maqama, storytelling, heritage, popular art, forms.

تقديم:

سجل النثر الجزائري الحديث ارتبطا وثيقا بالتراث العربي، وخاصة ما تعلق منه بتلك الأشكال النثرية التقليدية التي ظهرت منذ القديم، وعليه كان من الطبيعي أن تعرف المقامة في هذا النثر حضورا لافتا، وأن يبرع فيها كتاب جزائريون ممن كتبوا مقامات ومنامات ورسائل ومناظرات بصرف النظر عن مستواها الفني، ذلك "أن

التقاليد الأدبية في صورتها المجردة أو النموذجية لا تعرف السكون ، بل هي حركة مستمرة من خلال علاقتها بالمادة الأدبية المتجددة، ومن خلال الممارسة العلمية للأدب على مر العصور".(بورايو، 1994)

لم تقف عبقرية الكاتب الجزائري عند حدود التقليد واجتار الموضوعات المكرورة كما سبق وأن تناولها السابقون من الكتاب الجزائريين، بل كان من الطبيعي جدا أن يطوعوا هذا الشكل ليتناسب وأفكار العصر الجديدة ، ويتجاوزا وظيفة المقامة التقليدية التعليمية إلى نقد الواقع ورصد حركة المجتمع وتطوره الفكري والثقافي والاجتماعي ، كما حدث في بداية هذا القرن حين استخدم كثير من الأدباء العرب مشرقا ومغربا هذا الشكل للتعبير عن مشاكل المجتمع وقضايا الراهنة، مثل بن ابراهيم والديسي وصالح خيشاش وغيرهم .

ظهر في هذا المضمار كاتب جزائري في وقت مبكر، نوّه الدارسون والنقاد بآثاره وكتابات في هذا اللون من المقامات والمنامات والرسائل ، وإن لم ينل ما يستحقه من العناية والتمحيص في مضامين مقاماته و مناماته، وهو محمد بن محرز الوهراني، غير أن في العصر الحديث يمكن التمييز بين أنواع ثلاثة من المقامات في النثر الجزائري العربي الحديث ، وهي المقامة الصوفية ، والمقامة الشعبية، والمقامة الأدبية (الإصلاحية) (ركيب، pp. 87-88 ،

مصادر ودراسات أدب المقامة الجزائرية

تطرقت دراسات عديدة لجنس المقامة في الأدب العربي عامة، وفي الأدب الجزائري خاصة، تناولته من زوايا مختلفة، وقد تنوعت بين دراسات العربية والأجنبية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب المفارحات والمناظرات للدكتور محمد حسان الطيّان، صدر عن دار البشائر الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ط1، 2000م، قدر عدد الصفحات بمائتين وتسعة صفحة.

تضمن كتاب المفارحات والمناظرات أكثر من مقامة، منها مقامة بعنوان "غريب الأنبياء في مناظرة الأرض و السماء للشيخ محمد بن المبارك الجزائري، و مقامة أخرى له بعنوان أبهى مقامة في المفارقة بين الغربة و الإقامة، و مناظرة بين العلم و الجهل للشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي الجزائري، بالإضافة إلى كتاب المواقف في

التصوف و الوعظ و الإرشاد للأمير عبد القادر ت 1882 م ، صدر عن دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر 1966 .

إن الأنسب من هذه المقامات مقارنة للبعد القصصي والسردى المقامات العوالية في الأخبار العلالية على اللغة المغربية" لمحمد بن علي بن الطاهر الجبّاري البطيوي، والتي نشرت من طرف ج -فور -بيقي (faure- beguet) لأول مرة في المجلة الاستشرافية الشهيرة « le journal asiatique » على التوالي بين سنة 1913 و 1914، وقد سبقتهما "رسالة الأبرار" والتي نشرت 1887، من طرف ج دلفان (delphin)، ودراسة بالعربية للباحث في الأدب الشعبي أحمد أمين دلاي ، وبعض المقالات المقترضة، والجدير بالذكر أن العوالي الوحيد من بين كتاب المقامات في القطر الجزائري من ترك لنا اثنتي عشرة مقامة مرتبة على النحو التالي: (الصحراوية/الكرموسية/الدوايرية/التمتامية/الزهوانية/الوعدانية/الاخياخية/المعسكرية/العروسية/الندرومية/الكرصية الميدانية/الفوكية).

1- عناصر القصّ و مكونات السرد في المقامة الشعبية

أ-الحبكة القصصية

تعتبر الحبكة مجموعة من الأحداث في نص ما تكون مرتبطة بعضها ببعض ،تنتهي إلى نتيجة ما عن طريق احتدام الصراع بين الشخصيات ،وإما بتأثير الأحداث الخارجية ، حيث تكون وظيفتها إثارة عنصر الدهشة والتشويق لدى المتلقي، وبهذا فإن الحبكة هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية ،وهي لاتفصل عن الشخصيات لإفصلا صناعيا مؤقتا لتسهيل الدراسة". (شريط، 1998)

تشكل الحبكة في المقامة عنصرا فنيا يقوم عليه فعل التخيل ،حيث يمكن عدّها التخطيط القبلي الذي تقوم عليه فكرة مقامة وأحداثها ،وعلى هذا الأساس يرى عبد المالك مرتاض "أن الحبكة اسم جامع لطائفة من المصطلحات التي تتألف منها القصة، ولا تكون ناجحة ناضجة ،إلا بالاشتغال عليها" (مرتاض، 1988).

يوظف العوالي الحبكة البسيطة في مقاماته، والتي تقوم في الأساس على سرد فكرة أو حادثة واحدة ومعالجتها، في كثير من الأحيان ،كما هو في المقامة الشعبية الصحراوية، حيث أن العوالي أقامها على فكرة واحدة متماسكة، أخذ بعضها بزمام

بعض، وهي اللقاء الذي جمع بين الراوي امحمد بن العربي التاجر و البطل المحتال الشيخ الحبيب بن عيسى السخّار وقد حلّ بهم من جور الزمان.

يختلف الأمر تماما في بعض مقامات العوالي، "حينما يستخدم الحبكة المركبة، وهي التي تقوم على حكايتين أو أكثر (مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي)، ففي المقامة الكرموسية اتبع الحبكة المركبة حيث أقام الجزء الأول منها على فكرتين رئيسيتين، وهو بذلك يكون قد اتبع الحبكة المركبة من حيث الفكرة الأولى التي ركب عليها حكايته، والتي استلهمها بلقاء السيد الحبيب بن عيسى بطل المقامة بالسي بلاحة صاحب الجنان الذي وعده بأن يسمح له بأكل التين (الكرموس بعامية ساكنة الغرب)، وأن يملأ غراسته منها، غير أن السيد بلاحة أخلف الوعد خوفا من جشع الحبيب بن عيسى المكدي، وهو ما دفعه إلى رفع دعوة ضده لدى القاضي، وقد عبر البطل عن ذلك بقوله: "لما سمعت منه ذلك طاش عقلي، وسالت ريبوقي وانفتحت عيوني ثم طرقت برأسي إلى الأرض وقلت في نفسي إني أتيت إلى الفلاح لأنظر ما يفتح الله لي، فهذا هو الفتح المبين (المقامة الكرموسية،،، صفحة 22).

وقد يتبادر للوهلة أن الحكاية تنتهي مع إخلاف سي بلاحة للوعد، ليفاجئنا العوالي بحبكة ثانية تتركب على فكرة الحبكة الثانية، و المتمثلة فيما دار بين الحبيب بن عيسى وسي بلاحة صاحب جنان الكروم (التين) بعدما رفع الحبيب بن عيسى ضد سي بلاحة دعوة قضائية يطالب بالتعويض عما لحق به من ضرر، وخاصة أنه وعد زوجته بأن يحضر لها ما طلبته من أغراض حينما توجه إلى السوق، وقد عبر عن يأسه وعجزه بموقف زوجته منه حيث قال " فإذا ببنت السعد دخلت علي وقالت لي ياتالي الرجال، ياعاقب المنال، ما وقع لك في هذا اليوم... وبت أراقب النجوم، وأقاسي الهموم، وأحببت أن تلك كانت كلمح البصر أو أقرب، فلما أصبح الصباح، وأبى الضو ولاح، قمت مستعجلا، وها أنا أتيت بمجلس احكم طالب العقوبة لمقابلتي." (المقامة الكرموسية،،، صفحة 23)

لانتتهي الحبكة عند المحاكمة وطلب الإنصاف من مقابله سي بلاحة، وإنما في طبيعة العقوبة التي ركبت هي الأخرى على حبكة جديدة، ظهر فيها شخصية القاضي باعتباره شخصية رئيسة وسهم في حل العقدة بإصداره حكما غير متوقع من البطل السيد الحبيب بن عيسى إذ أمر بجلده على بطنه، وغرم سي بلاحة بزرده طعام للطلبة

1- لغة السرد (الوصف - الحوار)

أ- الوصف

يعدّ الوصف آلية فنية بارزة في تشكيل بنية النص السردى، حيث يسهم إلى جانب بقية عناصر القص (الشخصيات والمكان والحوار) في تشخيص الموصوفات وتقريبها من الأفهام سواء كانت مجردة أو محسوسة، ومنحها هامشا لإقامة المعنى في النص، وعليه يبدو الوصف مخترقا مساحات كبيرة من السرد في نماذج المقامات العوالية المطروحة للتحليل، بما فيها المقامة الصحراوية، و الكرموسية على وجه الخصوص، إذ من غير المعقول أن يوجد فعل أو حدث في مقامة ما منزها عن صدى الوصف، لما له من دور في تقفي المناطق التي يحتل الوصف فيها مكانا مطردا في كثير من المقامات، إضافة إلى رصد أهمية الوصف في إنتاج دلالة النص (بكر، صفحة 118).

يأتي الوصف متكررا في نص المقامات في مواقع ثلاثة:

1- في بداية المقامة.

2- عند ظهور البطل.

3- في حديث البطل عن نفسه خلال المقامة وفي نهايتها.

أ- الوصف في بداية المقامة:

يستهل العوالي المقطع الوصفي في المقامة الكرموسية بطريقة فنية، انطلاقا من مشمولات الراوي، ومما تنبؤنا به أوصاف بلغته (نوع من النعال أو الحذاء) ومما توجي به حالته، وحالة بطل المقامة الحبيب بن عيسى، حيث يقول: "وكانت لي بلغة طلاعها مفتوق، وانقائها مخروق". (المقامة الكرموسية،، صفحة 20)، ثم ينتقل من وصف حال البلغة إلى وصف حركة الركاب (الإسكافي) وهو يدور بالبلغة، ويجدد طلوعها، ويرقع طرفها ونعلها، إلى أن يصل بالوصف إلى تركيز الوصف على شخصية البطل الحبيب بن عيسى، حيث قال: "إذ رأيت شيخنا ابن عيسى طالعا مع الواد، مهدونا في مشيه كأنه من أهل الرغاد، فلقيته ماشيا بالحفى، وطرت عليه من القفى (المقامة الكرموسية،، صفحة 20)".

إن المتأمل في طريقة العوالي في الوصف ليقف معجبا من دقة أوصافه وكيف ربط بين أوصاف بلغته المتفتقة، وصفة مشي البطل الحبيب بن عيسى بالحفى، أي دون حذاء، فهذا الابتداء غايته تسليط الضوء على جانب من الفقر الذي كان يعيشه

أغلب ساكنة الغرب من القطر الوطني ،وهو وصف اصطلاح عليه فليب هامون بالوصف عبر التسمية والتوسعة (مقال آليات اشتغال النظام الوصفي من منظور النقد الروائي).

ب -عند ظهور البطل:

يتخذ الوصف مع ظهور البطل وظيفة دلالية ترتبط بأحداث المقامة وبشخصياتها ،كما يشي ضمنا إلى طبيعة الشخصية الواصفة، وإلى براعتها في انتقاء مواضع الوصف من الشخصيات والجماد ،ليضع هذه التقنية معرض إعجاب الراوي والمتلقي على السواء،وهو وصف ينم على روح متفككة مرحة أسست لطريقة في الوصف غريبة ،لا يضاهيها كاتب في زمننا هذا ،وفي هذا يقول عن نص الحكم المكتوب بالمحكمة الشرعية ،وعن كاتبها الذي يصف فيه شخصية المدعي الحبيب بن عيسى البطل : " حضر لدينا الشايب المقشطل المستدغم ذو البرنوس الأصفر المفتر، والقمجة المفلوقة المهدوعة، هو السيد الحبيب بن عيسى المسن بخمسة وخمسين سنة القاطن بدوار اولاد بن عوالي " (المقامة الكرموسية،، صفحة 20).

ج-في حديث البطل عن نفسه خلال المقامة وفي نهايتها.

يتجاوز الوصف إضفاء الحيوية على شخص الموصوف تلميحا وكناية ،نظرا لطبيعة الشكل الأدبي الذي يأخذ ميزته و فرادته مما تحفظه ذاكرة الكاتب من استحضار لبعض الأشكال النثرية، كتوظيف المثل العربي على سبيل التناص "فصرت كمن ضيع اللبن في الصيف،ولم أر سي ابلاحة في الحيف،فحينئذ تأوهت وتكسلت،ثم تأسفت وحوقلت، واسترجعت ولكن حين جاز الوعد والوقت تنفست الصعدا ،ووددت أن أبكي وأبكي البعدا ،وقمت أقدم أراذلي ،وأسحب ذلالي، ولبست ثوب الهم في الحين،على خلاف وعد التين ،ورجعت من حيث أتيت " (المقامة الكرموسية،، صفحة 22).

يستقدم الكاتب الأشكال البلاغية كالوصف في تقريب صورة الموصوف ومنحها بعدا دلاليا ينم عن قدرته على توظيف القصص القرآني "قال الراوي فلما سمعت ما نفث،وعيت ما بحث،التبست بالترديد والأوهام وصرت كبلقيس لعرشها في الاستفهام...بت طول الليلة مقلب البال...فلما أنعمت الليلة بصباحها،وشعشت الشمس بوزارها...فوجدت شيخنا ابن عيسى قد رق جلده،واصفر لونه،ثم أن لحمته

هزلت ،ولحيته تكشرد تفصفت يدي فرحة لنظرتي إليه،وعزمت للتدني بالسلام عليه،فسلم علي وأنشد ما حفاه وتغرغرت بالدموع عيناه ." (المقامة الصحراوية ص ، صفحة 17)

لغة الحوار في المقامة:

من التقاليد المعروفة في المقامة اعتمادها إلى حد ما على الحوار بين الأشخاص، لإضفاء الحيوية على المقامة، و للتعبير عن أفكار الكاتب، و هذا هو الطابع العام للحوار في نص المقامة هذه ،و هو إن كان أحيانا يأتي موجزا معبرا عن الفكرة، ففي أحيان أخرى لا تكون وظيفته فنية بقدر ما تكون لإبراز هدف المؤلف، فهو حوار لا يساعد كثيرا على رسم الشخصية خاصة، و هو قليل في هذه المقامة بالقياس إلى العناصر الأخرى لأن الكاتب مشغول بالسرد و الوصف، و هو سرد يمتاز بالحيوية و التدفق لما فيه من حركة واضحة منبعها تتابع الأحداث و سلامة التعبير و رصد المفارقات و التناقض بين المواقف و نقد الواقع في وعي و فهم عميقين". (الركيبي، صفحة 128)

اتصفت لغة المقامة الصحراوية بما تتصف به غيرها من المقامات، حيث أنها جمعت بين فن الشعر و فن الكتابة، أي و كأنه يقول شعرا على شكل نثر في قوله في المقامة: "و حال نلت منه المطلب، في اكتساب مال غير متعب، فقسى قلبي عن البرعة، و نفرت نفسي حلاوة القناعة" (المقامة ، صفحة 16)، و ربما يمكن لهذا النثر أن يكتب على شكل شعر ملحون، كما أن هاته المقامات تشبهت بالقصة القصيرة في أسلوب صياغتها لكنها تتميز ببلاغة لغوية في المفردات على عكس القصة، على نحو قوله:ذقت بنة العصاره – سمعنا خبرا يطيش النفوس، ويفر منه الصابر العبوس.

استخدم العوالي أسلوبا اقترب فيه من ملفوظ الخطاب الشعبي في سلاسة ومرونة ألفاظه، وإن مزج بين اللغة العربية الفصيحة و اللغة العامية المتفاصحة فذلك لأنه يستهدف تحقيق غاية تعليمية ، تتمثل في تقريب اللغة العامية المتفاصحة من أفهام عموم أبناء الشعب الجزائري ،وبالأخص تثريب لهجة سكان الغرب الجزائري من اللهجات الجزائرية المتنوعة من شلحية وأمازيغية وشاوية...الخ زيادة على أنها، تحمل في طياتها العادات الكلامية المتداولة على ألسنة أجدادنا، كما تحفظ جمالية الزائل العابر من تلك الملفوظات المندثرة مع اندثار الحرف والصنائع والمؤن

واللباس، فمثلا يقول: صرامية ، لبدت،
تهمدنت، قرداش، سرط، السبايس، تكشردت، الكموسة، الترموسة، حوايجه، تيبسس..
الخ .

نستطيع القول إن العوالي وفق في تصوير الواقع الذي كان يعيشه، و واقع فئة
الشيخو المحتالين من تلك الطبقة الشعبية بصفة عامة، كما أنه نجح في ابتكار أسلوب
أدبي فريد و مختلف و ممتع صراحة، و وصل إلى مبتغاه بحفظ اللغة الشعبية
وتقديمها للأدب الوطنية الأخرى كأدب يستحق دراسته، و لا ننسى أنه نجح أيضا في
تطبيق كل خصائص المقامات من بلاغة أدبية، و حكم و مواعظ، كما أنه أحسن
تصوير البطل و حكاياته المسلية و الهادفة في الوقت نفسه.

ج- الحدث في المقامة :

يجمع أكثر الباحثين في حقل السرد والحكاية والقصة على " أن الحكاية مجموعة
من الأحداث (أو أفعال السردية) تتوق إلى نهاية ، أي أنها موجهة إلى غاية . وهذه الأفعال
السردية تنتظم في إطار سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية. كل سلسلة
sequence يشد أفعالها رباط زمني ومنطقي. (كليطو(p. 32) ،

يستقبل قارئ المتن الحكائي المقامي باعتباره سردا لاحقا في المقام الأول ، وفيه كما
يقول عبد العالي بوطيب "لا يبدأ إلا بعد انتهاء الحكاية، أي بعدما يكون القائم بالسرد
على علم تام بتفاصيل متنه الحكائي كله" (بوطيب، 1993(p. 131) ، حيث تتضمن
المقامة الصحراوية أخبار الراوي امحمد بن العربي وجولانه وتلطامه في الصحراء ، وما
حدث له مع بطل الحكاية الشيخ بن عيسى السخّار، شيخ المحتالين وقائدهم، وعليه
فقد سميت بالصحراوية نسبة إلى الصحراء أو كما قال الراوي " الصحرة " ، في الملفوظ
العامي .

تنتظم علاقة أحداث المقامة باعتبارها حكي أو عرض أو سرد أو قص في مستواها
الدلالي حسب نمطين من العلاقات :علاقات منطقية وعلاقات زمنية، ونعني بالعلاقات
المنطقية تلك العلاقات السببية ، حيث يكون وراء وجود كل وحدة أو sequence في
المقامة وجود وحدة أخرى، كما أن هذه الوحدة نفسها تقف وراء وجود غيرها، وهناك
عدة أنواع من المسببات التي تهيمن في المقامة في السببية الحديثة، أو كما اصطلح
عليها عبد الفتاح كليطو قواعد السرد مشكلة من تعلق السابق باللاحق، وارتباط

تسلسل الأحداث بنوع الحكاية،بالإضافة قاعدة العرف والعادة المتحكمة في علاقة المتلقي بنوع النص والنسق الثقافي .

تتضح هذه القاعدة في توالي الأحداث وارتباطها الزمني والمنطقي في المقامة الكرموسية ، حيث سلسلة تتابع الأحداث تساير منطقيا ترتيبية الزمن الكرونولوجي الواقعي ،وليس السردى ،مابين علاقة سبب بمسبب ،أو علاقة اللاحق بالسابق ،وهو ما اصطلاح عليه أرسطو بمبدأ الاحتمال والتوقع،حيث يمكن رسم هذه العلاقة على النحو التالي:

- 1- ذهاب الراوي امحمد بن العربي في يوم غير مشهود ليشهد السوق .
- 2- رأيته للشيخ الحبيب بن عيسى بطل المقامة
- 3- السؤال عن حاله وما بدا عليه من حزن
- 4-شكوى الحبيب بن عيسى من ظلم العلماء .
- 5 - إخبار البطل بن عيسى الراوي امحمد بن العربي عن عقد الحكم بسبب مقاضاته لسي بلاحة صاحب جنان التين .
- 6-إخباره عن قصة إخلاف سي بلاحة وعده للشيخ الحبيب بن عيسى.
- 7-إسهاب سي ابلاحة في وصف فاكهة التين وطمع الشيخ بن عيسى في هيبة التين .
- 8-مماطلة سي بلاحة الشيخ خوفا من جشعه
- 9-شكوى الشيخ بن عيسى سي بلاحة لدى القاضي المفتي.
- 10-إقرار القاضي بإنزال عقوبة الجلد في حق الشيخ بن عيسى وتغريم سي بلاحة بزردة يقدمها للطلبة.

تننظم هذه السلاسل منطقيا وفق مبدأ ارتباط اللاحق بالسابق،ووفق ترتيب زمني طبيعي، لا يمكن للكاتب الخروج عنه باعتباره قاعدة أساسية تخضع لها المقامة، باعتبار انتمائها لقواعد الكتابة السردية ، على عكس تراتبية الأحداث في المقامة الصحرائية، فبطل المقامة الصحرائية يهيم بالسرد نحو الوصف ،وبالتالي لا يخضع سلسلة الأحداث إي أي ربط منطقي أو زمني بحيث يمكن تغيير نظامها من أي نقطة في السرد، فالراوي يستهل الحديث عن حدث وقع له في زمان " سعيد الكوكب " يقول إنه كان يكسب مالا دون تعب، و لكنه فقد القناعة فقصده التجارة ناويا الغنى، فبدأ

يحضر الأسواق و يشاهد الأرزاق، لكنه وجد أن الريح يأخذه أهل الصحارة، فقرر السفر إلى الصحراء، فحمل زاده و بدأ يغتنم الريح إلى أن حدث في يوم ما أنه وقع خصام بين " أبا عمامة " و " باعمامة " و يبدو أنهما شخصيتان بارزتان في المنطقة ماجعل رفاقه يفرون كل و وجهته، أما الراوي فقد توجه إلى بلاد " المشرية " أكبر بلديات ولاية النعامة من حيث النشاط و السكان و الحركة التجارية.

يقول في وسط المتن إنه اختبأ كما يختبأ الخائف إلى أن تعرف على سكانها، فهدأ من روعه، وسكنت مهجته، و في يوم من أيامه كان عند "دكان قرداش" أو كما ذكر " فبينما أنا في يوم مجمّع عند حانوت قرداش، و قلبي متفكر في الأمور فتاش" (المقامة الصحراوية ص(16 p. , ، جاء زملا من السّخارة من المغرب فدخلوا، و بينما رجلين متسامرين فدنا إليهم ليسمع كلامهما، إذ برجل منهما يقول لصاحبه " اعلم يا ولدي، إنّك إذا بليت بنوبة السُّخرة و عنيت لتقطع فيافي الصحرة، فكن صبوراً على كيد الزمان و محنه و لا تكلف على نفسك جد السير و نحوه، و لا تجعل دابتك في أول الرحل و لا في آخره، ثم أنك كن أديبا مع السبايس، لتنجى من بعض النجائيس" (المقامة الصحراوية ص(17 p. , .

يقول الراوي أنه وعى قوله، و صار كبلقيس لعرشها في الاستفهام، و بات ليلته يفك، و مهوّل الحال، و وضع الموضوع الذي تكلم عليه الشخصان، و في الصباح قصد المكان المعلّم، و إذ به يجد الشيخ ابن عيسى مصفر اللون، هزيل اللحم، مكشرد اللحية، فسلم ابن عيسى على ابن العربي، و أنشد أبياتا يصف حاله فيها و تغرغرت عينيه بالدموع، فقال له ابن العربي أنه سيخلصه بلا من، و أعطاه من الدراهم عشرة، ليأخذها إلى قائد الترموسة، فقبضها، و لانت بشرته، و احمر وجهه، مطمطت شواربه، و أنشد شاكر ابن العربي .

وفي نهاية المقامة قال إنه سيذكره في كل المواطن، و محافل العرب و العجم، و ذهب راميا الحزن خلفه، و بدأ يدور كأنه يجمع أمتعته، و في الحقيقة هو يفكر كيف ينجو من خداعه، و انصرف قائلاً إنه سيعود لكنه احتال عليه و فر تاركا له رسالة في شكل أبيات شعر يوصي فيها ابن العربي أن يصبر على غدر الزمان ومحنته، فساق ابن العربي هذا المثل فقال كنت كمثل " من اشترى الهمّ بالدرهم، و ضيّع الرفقة و انعدم، وهنا صدق ظن سيباستيان فرانك حينما قال إن المثل حصيلة تجارة مفلسة .

عرض المؤلف في متن المقامة الصحراوية لقضية سياسية خطيرة أرّخ لها تاريخيا بمقاومة الشيخ بوعمامة للغزو الفرنسي، وقد بدأت عام 1881، وامتدت إلى غاية 1904 وقد ساق هذه الحادثة التاريخية على لسان الراوي امحمد بن العربي ليس لكونها حادثة عارضة عابرة، وإنما باعتبارها خلفية مشهدية مهّدت لسيرورة الأحداث و للمصادفة التي جمعت الراوي بابن الذي كان سخارا في الصحراء، "حكى امحمد بن العربي قال كنت في زمان سعيد الكواكب ..." (المقامة الصحراوية ص 16 p. . .)

لاشك أن فعل القراءة هو ما يكشف الحيل السردية ويدفع المتلقي إلى إعادة القراءة من اليسار إلى اليمين ليقف على عبقرية العوالي في التأليف، الأمر الذي تحقق في المقامة الكرموسية .

الفضاء في المقامة العوالية :

يتأسس فضاء المكان والزمان في أدب المقامة على مركزية السفر بكل أشكاله، وبالأخص في أنموذج مقامات الهمذاني، طوال الصفحات، تنشر خرائط، وتبسط رفاق، وتتكشف مجموعة من النشاطات، فالسفر قبل كل شيء حركة في الفضاء ومؤلفات المقامات غنية بالتجوال وأسماء المكان، تحمل اسم مدينة أو منطقة، والبطل والراوي يجولان في كل اتجاه. (كليطو، المقامات السرد والأنساق الثقافية تر عبدالكبير الشرقاوي)

يتم توظيف المكان في أدب المقامات الجزائرية وفق طبيعة المقامة، وبحسب إمكانيات الكاتب الفنية وثقافته، علاوة على ما تتطلبه المقامة من خضوع الموضوع إلى الشكل، لغة وأسلوباً، وغاية مرسومة يسعى الكاتب إلى تحقيقها، أو مجرد فكرة يروم تقديمها للمتلقي، وبالتالي قد يبدو المكان في بعض المقامات شاحبا ضامرا لا أثر له في النص إلا ما تقتضيه الجلسة من وجود شخصيات في مكان لا يكاد يذكر حتى يختفي نهائيا.

يتشكل المكان في مقامات امحمد بن علي العوالي من أمكنة السوق والفيافي و الأقفار و الصحرة والحنوت وبلاد المشرية وسيدي بلعباس وبلدة وادي تليلات وبعض البلدات الكولونيلية، والتي رمز لها بفلاج سان لوسيان، في نصوص المقامتين الأولى والثانية على سبيل التمثيل، حيث تتوزع الأمكنة بنسب متفاوتة، ففي المقامة الصحراوية لا نجد ذكرا يوحى بواقعيتها، ما عدا كونها مكان مفتوح غير معلوم، فهي

الصحراء في عمومها "فلما تحققنا بهذا العبث، وخشينا الهلاك في اللبث، فافتרכת رفقتي قبل النفث، فمنهم من قصد المنقار الفوقاني، ومنهم من وعد المنقار التحتاني، ومنهم من توجه لأبي سمغون... فلما سمعت هذه البلية، ودخلت لبلاد المشرية". (المقامة الصحراوية ص ، صفحة 16)

لاشك أن فضاء السوق ومدينة مشرية والحانوت ، والمكان المعلم ، والموضع ... إلخ كلها أمكنة لا تؤطر للحدث في المقامة الصحراوية ، نظرا لكثرة تنقلات الشخصية ، وعدم استقرارها فيها ، خلافا للأمكنة في المقامة الكرموسية ، التي رسمت لوحة فنية لأطر المكان ودققت في تفاصيله إلى حد الجزم بواقعيتهما ، كما يعبر عنه في المشهد التالي: "كنت أتيت بالأمس إلى فلاج سان لوسيان لأنظر ما يفتح الله لي فبينما أجول في الفلاج ، إذ بي التقيت مع سي ابلاحة بن عبد الرحمان المذكور فسلمت عليه وسألته عن حاله ، وصرت اتمشى معه في زقاق الفلاج حتى اهويينا إلى حجرة منجرة كبيرة كايئة حدو الساقية الجارية مقابلة لسوق الفلاج و مرقبة على طريق الحديد الزاهية من تليلات إلى أبي العباس فجلسنا عليها وصرنا نتحدث في أنواع الكلام . " (المقامة الكرموسية ، صفحة 21)

يعد هذا المشهد من بين أطرف ما بلغته جمالية المكان في تخليد أمكنة موجودة طوبوغرافيا في عين المكان ، وبالتحديد فلاج سان لوسيان و الحجرة القريبة من الساقية المطلة على سكة القطار في اتجاه تليلات.

فضاء الزمان في المقامة :

لا تعدم أهمية الزمن في الإبداع الأدبي ، شأنه شأن المكان من حيث الأهمية والدور المنوط به في تنظيم مجرى الأحداث داخل المتن المقامي ، باعتبار الفنون السردية زمنية بامتياز، ولذا "كان للزمن أهمية في الحكيم ، فهو يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي" (بوعزة ، صفحة 87).

أ- زمن القصة في المقامة: في المقامة الصحراوية لا يمكن للقائم بالسرد التغيير في زمن الأحداث وتسلسلها وبنقلها كما تكون عليه في الواقع الذي يمثل زمن أحداث القصة الفعلية والمكتوب الذي يمثل زمن أحداث الحكاية التي يتلفظ بها الراوي في وقت الحكيم (زاوي ، 2014-2015 ، صفحة 81) ، ذلك أن زمن الحكيم حدد بكيئونة ماضية غير معلومة دلّ عليها بقوله "كنت في زمان سعيد الكوكب" (المقامة الصحراوية ص ، صفحة

(16)، أو كقوله "سمعنا في يوم خبرا يطيش النفوس" (المقامة الصحراوية ص ، صفحة 16)، أو يكون الزمن مؤشرا عليه بقرينة لفظية تمثلت في جملة الأفعال الدالة على الماضي ،مثل (شرعت ،دخلنا،سمعنا)، أو قرينة بلاغية "فلما احمر عنق الحمام، وازدهرت نجوم الأكمام، دخلت كنفه السخّارة كما يدخل الجوساس ، وأنا في حالي خائف من العساس ، إذ بي جزت على حملين موضعين ،وبينهما رجلين متسامرين". (المقامة الصحراوية ص ، صفحة 16)

يستخلص من جملة الشواهد المساقاة في المقامة الصحراوية أن الزمن خاضع لوتيرة سرد الأحداث ،من حيث درجة سرعتها ،ومن حيث شساعة فضائها (فضاء الصحراء – مشرية –أبي سمغون)، وبالتالي يتم سرد أحداث تستغرق زمنا طويلا في أسطر قليلة ،وفي حالة السرعة يتقلص زمن القصة بتوظيف تقنيات زمنية سردية أهمها الخلاصة والحذف ، (بوعزة، صفحة 92) كما هو في المقامة الصحراوية .

ب-المفارقة الزمنية: نادرا ما تحدث المفارقة الزمنية في نص المقامة العوالية ماعدا بعض المفارقة في المقامة الكرموسية، فحين يخالف زمن السرد أحداث القصة ،سواء بتقديم حدث على آخر ،أو استرجاع حدث ،أو استباق حدث قبل وقوعه . (بوعزة، صفحة 88)

يحدد زمن القصة في المقامة الكرموسية بإخبار الراوي امحمد بن العربي عن نفسه، أنه في يوم ذهب ليشهد سوق المدينة ،وفجأة رأى الشيخ الحبيب ابن عيسى طالعا من الواد.وأثناء تبادلهما أطراف الحديث يروي البطل الشيخ بن عيسى ما وقع له من قبل ،عبر ورقة نص حكم المحكمة الشرعية القاضي بمعاقبة البطل بالضرب جلدا على بطنه وتغريم خصمه سي ابلاحة بزردة طعام للطلبة.

يبدو أن الكاتب وظف تقنية الاسترجاع بصورة واضحة في المقطع السردى التالي "قال لي يا سيدي الحبيب ألم تعلم ما صنعت أنا في هذا الصباح فقلت لا علم لي اعلمني يا حبيبي ماذا فقال لي أنا ذهبت بكرة إلى جناني " (المقامة الكرموسية،، صفحة

شخصية بطل في المقامة الصحراوية:

أ- أشكال ظهور البطل و حضوره:

يتعلق الأمر في هذا السياق بأشكال تقديم البطل من حيث التركيز عليه، و طريقة ظهوره بمعنى تقديم البطل في سياقات و حالات ترسخه في ذاكرة القارئ، بالإضافة إلى ما يطرحه مفهوم البطل من صعوبة حقيقية تتصل بالمكانة التي يشغلها داخل السرد بحسب "رولان بارت" (بارت، 1992، صفحة 25)، لذا فمن المعقول أن تسند للبطل وظائف و أدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون هذه الأدوار مثمنة داخل الثقافة والمجتمع، و هو الذي يتصل بالسارد مثلا يتعرف عليه و يقوده في الحياة، بحيث يصبح السارد تابعا للبطل يخضع لخططه و تعليماته.

غير أن الشخصية المركزية في المقامة الصحراوية هي التي تؤدي دور البطولة، و هي الشخصية التي يقدمها النص بتفاصيلها التي تمكننا من التقاط رسما لصورتها و طبعها، وكذلك الشأن بالنسبة للمقامات الاثنتي عشرة، وقد جرى تقديمها في صدر الصفحة الأولى من المقامة على النحو التالي: "وجدت ابن عيسى العوالي، يتقلب بالأوصاف والأحوالي، فمرة يحضر مع الطلبة في الجنايز، وطورا يقصد خطبة العجايز، وتارة يميل إلى مجالس العلامة، وأخرى يحضر مع كبار الجماعة، وساعة يأتي راكبا مع الميعاد، ويتخالا مع الأمرا والقياد، ويوما يظهر كأنه مؤالا، وفي الصيف يجور مترجلا بمنجله تحسبه شوالا، بيد أنه مع تقلب أوصافه أنه من عرب البربر قوالا، فرميت النظر عليه، وتسببت في الخلطة إليه، ورجعت كما قال الحريري في أقواله، والله دره ومآله... ثم إني امتزجت معه كما يمتزج الما في اللبن، وانطلقت بدواخله كالْحَكَّة في الجبن وانجلت عني إزالة الغبن". (العوالي، صفحة 14)

تقدم جملة من الأفعال المخصوصة معلومات ضمنية و معرفة غير مباشرة عن الشخصية حيث أن القارئ مدعو لاستخراج و استكشاف مظاهر الشخصية من خلال ما تحيل عليه صيغة الأفعال في تقديم شخصية الشيخ بن عيسى مثل: (يتقلب. يتخالا. يجور. انتفخت عيوني سالت ريوقي.)، وهي تقنية شائعة في مقامات العوالي الغاية منها تقديم البطل بطريقة ضمنية في شكل ساخر يتساق وطبعه وشخصيته، وفي المقابل تعتمد الملفوظات الوصفية صيغة ال وصف في تقديم الشخصية (مهدون

الشباب المشتل المستدغم .تالي الرجال .عاقب المنال. ...)والغاية منها تقديمها بطريقة مباشرة.

تضطلع الشخصيات المقترحة في المقامات العوالية بدور الإيهام بواقعيتهما ،وذلك أن الكاتب قد أقحم في نصوصه بعض الشخصيات ذات الوجود العيني أو التاريخي أو السياسي وهي شخصيات من لحم ودم كشخصية أبو عمامة زعيم المقاومة الشعبية ،بالإضافة إلى شخصيات خيالية تمثل أنماطا من الشخصية التي توطن حضورها على مستوى فترة تأليف النص لاستكمال عملية الإيهام بواقعيتهما (السرد، 1998، صفحة 79).

حين يخص القائم بالسرد في المقامة الصحراوية مثلا شخصية البطل بمجموعة من الصفات لا تملكها الشخصيات الأخرى أو تملكها بدرجات أقل، فإنه يجعل شخصية بطله متفردة في أوصافها وأفعالها، وهذا ما يمنحها على مستوى بنية السرد درجة من التبثير، بحيث تؤدي دور الكاتب الضمني في إدارة حركة السرد وتشكيل الرؤيا والتأثير في وجهة نظر المتلقي حيال ما يقوم به البطل من مكر وكيد واحتيال ونصب على ضحاياه في كل مقامة، وهو مقلد بارع في اختيار الألقاب وانتقاء النعوت والصفات لشخصياته على حذو ومنوال شيخه الحريري، الأمر الذي يمنح مقاماته أبعادها القصصية بصورة أكثر تمثيل من غيره من كتاب المقامة الجزائرية في العصر الحديث.

اختار الكاتب اسم " الحبيب بن عيسى " بطل المقامات العوالية على صنيع عيسى بن هشام ، و هو قد يتشابه مع بطلي " الهمداني " و " الحريري " والبيكاريسك في الأدب الإسباني إلى حد كبير، فهو يمتاز بالمكر والدهاء والحيلة ويتصف بالدعابة والمرح، و هو زيادة على ذلك محترف الصعلكة والتشرد، ومتصنع الحيلة والمكرو الاستمثار، فالصفة المشتركة بين أبطال بعض المقامات القديمة و مقامات كاتبنا هي أنهم أناس فقراء معدمون، ضاقت بهم السبل و سدت في وجوههم طرق الرزق الشريفة في وطنهم فعمدوا إلى التحايل على الآخرين". (الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث ط2، 2009، صفحة 109)

خلاصة القول يتحرى تحليل التشخيص الطرق و الوسائل التي يتم بها خلق الشخصية الروائية (مانفريد، 2011، صفحة 135) ، وعليه تتعدد معايير تحليل

الشخصية مابين تشخيص سردي مقابل تشخيص صوري وتشخيص صريح مقابل تشخيص ضمني وتشخيص ذاتي مقابل تشخيص بالإنابة.

نتائج البحث:

-وظف العوالي الحبكة البسيطة في مقاماتهم ،والتي تقوم في الأساس على سرد فكرة أو حادثة واحدة ومعالجتها، في كثير من الأحيان ،كما هو في المقامة الصحراوية، في حين وظفت الحبكة المركبة في المقامة الكرموسية.

-إن الوصف مخترق مساحات كبيرة من السرد في نماذج المقامات الجزائرية الحديثة المطروحة للتحليل، بما فيها المقامة الصحراوية ،و الكرموسية على وجه الخصوص،ومقامة الديسي بين العلم والجهل ومقامة الأمير عبد القادر الصوفية.

- تنتظم علاقة أحداث المقامة باعتبارها حكي أو عرض أو سرد أو قص في مستواها الدلالي حسب نمطين من العلاقات :علاقات منطقية وعلاقات زمنية.

-الاشتغال على المكان في أدب المقامات الجزائرية جاء وفق طبيعة المقامة ،وبحسب إمكانيات الكاتب الفنية و ثقافته، علاوة على ما تتطلبه المقامة من خضوع الموضوع إلى الشكل ،لغة وأسلوبا ،وغاية مرسومة يسعى الكاتب إلى تحقيقها، أو مجرد فكرة يروم تقديمها للمتلقي، كما يبدو المكان في بعض المقامات شاحبا ضامرا لا أثر له في النص إلا ما تقتضيه الجلسة من وجود شخصيات في مكان لا يكاد يذكر حتى يختفي نهائيا،

-نادرا ما تحدث المفارقة الزمنية في نص المقامة العوالية ماعدا بعض المفارقة في المقامة الكرموسية، فحين يخالف زمن السرد أحداث القصة ،سواء بتقديم حدث على آخر ،أو استرجاع حدث ،أو استباق حدث قبل وقوعه.

مصادر البحث ومراجعته:

1- أيمن بكر السرد في مقامات الهمذاني (دراسات أدبية) الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر دط 1998.

2-شريط أحمد شريط:تطور البنية الفنية الجزائرية المعاصرة ،(1947-1985)منشورات اتحاد الكتاب العرب،1998.

3- رولان بارت :التحليل البنيوي للسرد، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب ،الرباط ،ط1

1992.

- 4- دلاي أحمد أمين: المقامات العوالية في الأخبار العلالية على اللغة المغربية، منشورات مركز البحث الانتروبولوجيا crasc والاجتماع والثقافة، 2006.
- 5- عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط 1994.
- 6- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، الدار العربية للكتاب، د ط 1983.
- 7- عبد الفتاح كليطو، المقامات السرد والأنساق الثقافية تر عبدالكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط 2001، 2.
- 8- عبد المالك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي، دار التونسية للنشر، تونس ط 1988، 2.
- 9- عراب أحمد: اشتغال النظام الوصفي من منظور النقد الروائي، مجلة جسور العدد 9، م 3، 2017.
- 10- عبد العالي بوطيب: إشكالية الزمن في النص السرد، مجلة فصول، م 12 ع 2 1993.
- 11- محمد بوعزة تحليل النص السرد (تقنيات ومفاهيم) منشورات الاختلاف الجزائر ط 2010، 1.
- 12- محمد زاوي: جماليات البناء السرد في مقامات الحريري رسالة ماجستير جامعة غرداية، 2014-2015.
- 13- يان مانفريد: علم السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى، سورية، ط 1، 2011.